

دراسات في العلوم الإنسانية
٢٧(٤)، الشتاء ١٤٢٢/١٣٩٩/٢٠٢١، صص ١٠٣-١٢٢

ISSN: 2538-2160
<http://aijh.modares.ac.ir>

السياق اللغوي ودوره الوظيفي لدى "حنّا مينة" في رواية "الشمس في يوم غائم"

سيد فضل الله ميرقادي^١، ليلا رئيسي^{٢*}، كريم كشاورزي^٣

- ١- أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شيراز، إيران.
- ٢- طالبة دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شيراز، إيران
- ٣- طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، إيران.

تاريخ القبول: ١٤٢١/٩/١٩

تاريخ الوصول: ١٤٢١/٦/٢٩

الملخص

تُجسّد رواية "الشمس في يوم غائم" لحنا مينة الصّور الواقعيّة لمجتمع الكاتب حيث تتّسم بنوع من النقد الاجتماعي كصراع بين السّنين التقليديّة والقضايا التّجديديّة ممّا تحوّل الشعب على التّمرد. أحدثت مظاهر السياق اللغوي التماسك النصّي بين نسيج هذه الرواية، والأجناس، والأحداث، والزمن، والعاطفة إذ تسهم آلياته (القصد هو السياق) سهماً بارزاً للكشف عن تمثّلات "حنّا مينة" كرفض التّحجّر والجهل والتميّز الطبقي في ظلّ الأساليب اللّغويّة والأغراض البلاغيّة. من هذا المنطلق يسوق المقال من خلال المنهج الوصفي-التحليلي إلى بيان دور آليات السياق اللّغويّة في الرواية؛ وأهمّ ما وصلت إليه هو أنّ آليات السياق ليست زخرفيّة بل هي إقناعيّة حيث وظّفها "مينة" لنقد أجناس وأحداث وطبقات المجتمع. يُعتبر عنوان "الشمس في يوم غائم" والتّعبير المتعلّقة به فضاءً دلاليّاً يربط بداية القصة بنهايتها المظلمة، مبيّناً الحزن والجهل المخيّم على المجتمع؛ وأيضاً يتّخذ الكاتب آليات لغويّة ك: التّضاد، والاستفهام، والتكرار عبر الأسلوب التّهمكّي-التوبيخي- ليحثّ الشعب على الحركة الاحتجاجيّة ويصوّر التّناقضات الصّديّة في مجتمعه كأنّه يثبّت على أجواء روايته اللّون الرماديّ دون أن يصلّ إلى نتيجته المنشودة.

الكلمات الرّئيسية: السياق اللّغوي، "حنّا مينة"، "الشمس في يوم غائم".

١- المقدمة

يتحدث المبدع في سياق النصّ الروائي عن الكلام وقد يثير اهتمام القارئ فيلجأ إلى اللغة باعتبارها دلالات تبرز أفكاره ورغبته في توصيل كلامه إلى الآخرين. ويتخذ الكاتب الروائي إطاراً في ضوء دلالات اللغة لتجسيد الأحداث، والشخصيات، والزمان، والمكان؛ فإنّ هذه المرتكزات الدلالية تحدث في ظلّ مفهوم السياق ولها مكان خاصّ في خضمّ الدراسات الجديدة بشقّي أبعادها كاللغوية أو البلاغية أو الأدبية.

شاعت جذور السياق في كتب النحويين والبلاغيين القدامى كـ "سيبويه" و"عبد القاهر الجرجاني" و"القرطاجي" و"السكاكي" و"فخر الدين الرازي" و"ابن قيم الجوزية" و... إلخ؛ إلّا أننا نراه أكثر وضوحاً في اللسانيات خاصة في الغرب حيث أحاط الغربيون بتحديد ماهيته وجميع الجوانب التي توجد في معاجهم اللغوية فضلاً عن اختلافهم في معانيه الضمنية. يستغرق البحث عن جميع جوانب السياق إلى جهد طويل، ويحتاج إلى معرفة دقيقة بمواضيعه اللغوية والبلاغية؛ فلهذا لم يتطرق هذا المقال لبعض المعايير السياقية كالسمات الصوتية والمورفولوجية والسياق الخارجي في هذه الرواية، فبرّد هذا الأمر إلى:

١. وجود الغموض وتضارب الآراء في أشكاله،

٢. صعوبة الحصول على العناصر العاطفية والعناصر النفسية والثقافية المؤثرة في الأثر،

٣. إنّ أيدي الباحثين لم تخطّ البحث التطبيقي في هذا المجال ولم نر نموذجاً نقدر الاعتماد عليه؛ واكتفى بالعناصر الداخلية في هذه الرواية.

وقد تستوعب المفاهيم المتعلقة بغرض الكاتب وهو الرقص والتمرد على الاستعمار للحفاظ على انسجام المقال والاستقصاء عن الأبعاد الجوهرية للرواية في ظلّ السياق اللغوي، بناء على هذا إننا اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي للكشف عن أهمّ جوانب السياق وتوظيفه الدلالي في رواية "الشمس في يوم غائم" لحنا مينة.

تسعى هذه الدراسة في ضوء تجلّيات السياق اللغوي في رواية حنا مينة إلى الإجابة عن سؤالين:

- ما هي آليات السياق اللغوي لدى "حنا مينة" في رواية "الشمس في يوم غائم"؟

- ما هي وظائف الآليات في السياق اللغوي لدى "حنا مينة" في الرواية المذكورة؟

١-١- خلفية البحث

تناولت دراسات علمية محكمة رواية "الشمس في يوم غائم" لحنا مينة من جهات شتى؛ فقد تمّ العثور على أبحاث ذات صلة كـ:

- كيان وحسن شاهي (٢٠١٤م)؛ قد وصلا في مقالة "بنية الشخصية وعلاقتها بالبناء الفني قراءة في رواية الشمس في يوم غائم لحنا مينة" إلى أنّ شخصيات الرواية تنقسم من جهة تحوّلها إلى الشخصيات الديناميكية والثابتة ومن جهة أثرها في الرواية إلى الشخصية المحورية والجانبية والهامشية وأيضاً هناك صلة وثيقة بين العلاقة الشخصية والعناصر القصصية.

- عز الدين العوف (٢٠٠٧م)؛ قام في مقالة «المغامرة النصية في رواية الشمس في يوم غائم للكاتب السوري حنا مينة» بدراسة تعددية النص ومظاهر التنوع والثراء التي ينطوي عليه؛ وأيضاً استيعاب ميزات نص القصة كالنص الأسطوري والأمثال والشواهد والنص المغلق والتضمين.

- كامل محمد صالح سماحة (١٩٩٨م)؛ في رسالة «رسم الشخصية في روايات حنا مينة»؛ يلتقي بالشخصيات العديدة في بعض رواياته منها الرواية المذكورة فيجد شخصيات ذات الأبعاد المضادة ك: الغني والفقير، والرجل والمرأة، والعربي والأجنبي، والمناضل والمحتكر؛ كما يوظف الشخصيات النامية في جوار الشخصيات الثابتة وأيضاً الشخصيات النموذجية إلى جانب الشخصيات الرمزية.

- أحمد ليب (١٩٨٥م)؛ في مقالة «الواقع الأدبي: حنا مينة وتناقض وعي الكاتب»؛ تناول ثلاث روايات ومنها «الشمس في يوم غائم» محاولة تبين ما يمكن تسميته بأيدولوجيا النص لا أيدولوجيا الكاتب. يستفيد الكاتب من قراءة دلالية للخطاب والعلاقات التي يقيمها بين المفردات عن رؤية خاصة للعالم.

- هناك دراسات كثيرة في مضمار السياق نستغنى عن إيرادها للإشارة إلى دراسات تطبيقية أخرى تناولت هذا الموضوع ك:
- مقالة «دلالة السياق اللغوي في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث شعر محمود درويش أمودجا» لـ "أحمد محمود عبد الله أمهيدات" (٢٠١٧م)؛ هذه الدراسة اختصت بالقسم النظري وحين دخلت في البحث العملي تناولت بعض فنون علم البلاغة في المعاني والبيان والبديع.

- مقالة «السياق وأثره في تأصيل نظرية التصوير الفني؛ دلالة المفردة القرآنية نموذجاً» لمحمود شقيب أنصاري وآخرين (٢٠١٧م)؛ درس البحث علاقة السياق بآليات التصوير الأدبي وعناصره؛ وذلك من خلال إجراء دراسة في لغة القرآن الكريم ومفرداته. قد كشفت الدراسة عن علاقة تفاعلية متواصلة بين الدلالة اللغوية للمفردة ودلالاتها التصويرية التي يُنتجها نظام متناسق من السياق اللغوي وسياق الموقف.

- مقالة «دراسة تناسب السياق في التقابلات الدلالية في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم» لمحمد صالح شريف عسكري وآخرين (١٣٩٥ش)؛ يتناول المقال موضوع التقابل الدلالي من خلال أبعاده الوظيفية وتناسبه مع السياقات المختلفة التي أحاطت به حيث وصل البحث إلى أن جمال التقابل الدلالي لا يقف على الصورة اللفظية بل له قيمته المعنوية في داخل النص.

- مقالة «السياق وفاعليته في دراسة الصور الفنية وتبيينها» رسائل الإمام علي (ع) نموذجاً» لخليل بويوني وآخرين (١٣٩٢ش)؛ قد تطرقت الدراسة إلى الكشف عن مدى تواجد تلك العلاقة بين الصورة الفنية والسياق في رسائل الإمام علي (ع) الواردة في فصح البلاغة بناءً على تقسيم السياق إلى عناصر أربعة منها: السياق اللغوي، والعاطفي، والثقافي، والاجتماعي؛ وأيضاً يشير البحث إلى دور السياق الريادي في تبين الجوانب المختلفة للصورة الفنية في الرسائل العلوية.

ولو تعمقنا في البحث والفحص لوجدنا الدراسات القرآنية والدينية أكثر عدداً بالنسبة إلى الدراسات الأدبية بين الأبحاث التطبيقية عن السياق. فلهذا سنتطرق إلى دور السياق اللغوي في رواية «الشمس في يوم غائم» فهي دراسة جديدة لم تخطها أيدي

الباحثين ولم تطأها أرجل الدارسين، لأننا ركزنا على موضوع الرواية ودلالاتها الجوهرية وقد تستجيب مقاصد الكاتب من مناهضة الاستعمار و الإقناع الأدبي؛ معتمدين على دراسة عنصري الزمن والعاطفة.

٢- مفهوم السياق وأقسامه

إن السياق^١ من مادة "س و ق" بمعنى "حدو الشيء"، و"التوالي"، و"التتابع"، و"الإيراد" (راجع: جلوي، ٢٠١١: ١). فالسياق يعني المشاركة ووجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص في مستوى اللغة والكلام حيث يتركز على ما يحيط في داخل النص وخارجه. يوظف الدارسون مقومات السياق في تحليل الروايات الحديثة في مضمار الكشف عن العقائد التي يعكسها الأديب في رواياته، فإن السياق والعلاقات المتناسكة بين نسيج النص والدلالات المتتالية للألفاظ ومؤثرات البيئة كالتاريخية والاجتماعية تعتبر بمثابة المرتكزات الهامة في الولوج إلى أغوار النص و جوانبه الداخلية والخارجية. فالسياق يتضمن نوعاً من استمرارية ألفاظ النص ودلالاتها لفهم النص وتحليله بما أن هذا يلعب دوراً هاماً في جلاء نسيج النص ومعانيه بالإضافة إلى معنى جديد يتمثل في ما يحيط بالكلمة في داخل الجملة. فهنا لابد من الإشارة إلى أن السياق ينقسم إلى قسمين:

١- السياق اللغوي (سياق داخلي)^٢ المستفاد من عناصر مقالته داخل النص. يبرز بوضوح معنى الكلمات الواردة في المتتالية اللغوية من خلال رصد علاقة الكلمة مع جاراتها السابقة أو اللاحقة من حيث العلاقات الصوتية، والصرفية، والتحويلية، والدلالية التي تعتمد على السياقات السابقة المجتمعة (راجع إلى: أكيدر وأحميدات، ٢٠١٨-٢٠١٧م: ٣٧٧/٨٦). فإن الكلمة في السياق اللغوي يتعين معناها بالكلمات الأخرى في نسيج النص.

٢- السياق غير اللغوي (أو الخارجي)^٣ حيث يسمى في البحوث بـسياق الحال، أو المقام، أو مسرح الكلام، أو الماحريات، أو الموقف؛ وفي بعض الدراسات منها دراسة البركاوي^٤ يُطلق هذا النوع من السياق بالموقف كلياً. وقد ينقسم إلى السياق العاطفي وسياق الموقف والسياسي الثقافي وهذا التقسيم شائع في الكثير من الدراسات المطروحة (البركاوي، د.ت: ٥٤-٣٠). هذا القسم هو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص ويتمثل في الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية للمتكلم والمستمع في الكلام ويفسر أموراً لا يستطيع السياق الداخلي وحده تفسيرها.

يتخذ هذا المقال مرجعية السياق اللغوي للألفاظ في رواية "الشمس في يوم غائم" لحنا مينة على أساس العلاقات الدلالية بواسطة التعابير وبعض الأساليب اللغوية والأساليب البلاغية دون الصوتية والصرفية لكي تظهر فكرته التقابلية بين جيلين في زمنين مختلفين وأيضاً كسر القيود والسنن المتوارثة في وراء النص.

1. Context
2. Linguistic context
3. Context of situation

فالجدير بالذكر هنا أنّ السياق الداخلي والخارجي هما يتعاضدان فيشكلان النصّ ويلعبان دوراً هاماً في بناء الرواية وتصوير أحداثها وأشكالها الفنية، والسياسي في داخل النصّ يلزماً إلى الكشف عن عناصر لغوية على أساس التتابع والتوالي في الألفاظ، والكاتب يتطلّع إلى استمرارية التفاعل بين النصّ ودلالاته وتأثيره على متلقيه.

٣- مضمون القصة

إنّ المرحلة التي كتبت فيها الرواية هي المرحلة التاريخية المكتنّزة بالأحداث السياسية على المستوى العربي، وهي التي حدثت فيها قضية الانتداب الفرنسي بشكل عام؛ وتدور أحداثها في بلدة صغيرة تقع على الساحل السوريّ خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين والصمت تجاه ثورة ١٩٢٥م (راجع: أحمد ليب، ١٩٨٥م: ١٦٨).

تجسّد الرواية الصراع الاجتماعيّ بين جيلين يمثلهما أب وابن يدخلان في معركة الرّفص والتحدّي. الابن هو -بطل الرواية- وقد ينتمي إلى أسرة بورجوازية كانت على صلة وثيقة بسلطات المستعمر الفرنسيّ وفي هذا الأثناء خاض الابن في ساحة المناهضة وساعده الحياط (شخصية في القصة) في هذه الساحة وهو المرشد الرّوحيّ للفتى، وشجّعه على أن يدقّ الأرض برقصة الخنجر بوصفها نسكاً ثورياً تحت إشرافه ليوقظ الشعب وينقذه من براثن الاستعمار. هذا والأب يقف بكلّ قواه ضدّ عاقبة الشعب -المستضعفين والمحرومين- ويستغلّ تخلفهم الدّائيّ.

فالكتاب في هذه الرواية حاول أن يصوّر التّقابل بين الطّبقين المنتميتين إليهما (الابن والأب) حيث يريد الابن كسر قيود من مجتمعه وسكّانه فهو يرفض "رقصة التّانغو" ويرغب إلى "العزف على البيانو" ويناهض أمام الأب ويدافع عن شُعبة العائلة وعاداته ولا يقبل شيئاً من التّغيير والتّطوّر وأيضاً يرصد بعض الدلالات التعبيرية الدالة على الظلم والحرمان في طريق أمل لم يتحقّق بعد.

٤- سياق الرواية وآلياته اللّغوية

استعان الكاتب في بناء روايته وإنتاجها بوسائل وآليات لنقلها إلى جمهور المتلقّين لأنّ الرواية تحمل أغراضاً خاصّة وقد تحتوي على تحديد الوسائل والآليات المناسبة والدلالات والصّور التي تُحقّق غاية الكاتب في مضمار منهجيّ ومنسجم.

اختار "حنّا مينة" آليات عديدة في سياق روايته كانتقائه الدلالات والأساليب النّحوية والبلاغية ربّما جعل أثره يُحقّق أغراضه ويؤثّر في متلقّيه؛ فتقنعهم بأمر وتدفع عنهم أموراً أخرى. من باب الاستشراق على هذه الآليات وكيفية الاشتغال بها، نشير هنا إلى بعض أبعاد السياق اللّغوي كدلالة التعابير بما فيها من دلالات كـ "الشّمس في يوم غائم" و"دقّ الأرض والاستيقاظ" و"الرقص والموسيقى"؛ وستنطرق إلى هذه الدلالات في رواية "الشّمس في يوم غائم" لحنا مينة بصورة نموذجية ثمّ سننتقل إلى آلياته اللّغوية والبلاغية ونبيّن توظيف كلّ منها في سياقها المختار.

١-٤- دلالة التعابير في السياق اللغوي

تتركّز أهميّة السياق في التّوالد الدلالي على أساس قوّة النسخ والعلاقات القواعدية والصّوتية والمورفولوجية للألفاظ، حيث تتعلّق

ماهية على إطار مرتكزات ك: الوقوف على المعنى، وتحديد دلالة الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع التوهم، وتبيين المفهوم الصحيح وإلخ...؛ ومن الطبيعي أن يحاول الكاتب البار أن يأتي بأقوال تتعلق بالمقام وأن يختار دلالات لغوية لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب والتعابير في داخل النص، إذ لا يكتسب اللفظ دلالاته وقيمه إلا من السياق الذي يرد فيه، ولا يمكن التعبير إلا من خلاله؛ لذا يتوجب علينا البحث عن الألفاظ أولاً وعلاقتها بالسياق ثانياً في هذه الرواية. فالجدير أن «الكلمات ليست داخل الحقل الواحد ذات وضع متساوٍ، حيث يفرض لنا أن نميز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية، لأن الأولى هي التي تتحكم في التقابلات الهامة داخل الحقل» (مختار عمر، ١٩٩٨م: ٩٦).

من هنا لابد من القول أن رواية "الشمس في يوم غائم" تحمل التعابير والكلمات ذات دلالات مركزية لها دور هام في التأثير على القراء حيث تتمخض هذه المفاهيم عن دلالة "الرقص" و"الموسيقى" ودلالة "دق الأرض" و"الإستيقاظ" وقد نتجت من الاستنباطات في السياق اللغوي وتكرار اللفظ والأساليب اللغوية والمنطقية والاستدلالية. فهنا نقوم بتحليلها على حسب الأشكال التالية:

١-٤-١-٤ دلالة "الشمس في يوم غائم"

إن السياق يرشدنا إلى الغرض في القصة ويساهم في معرفة معنى الكلام الذي لا يكون دائماً على ظاهره؛ لأن «الصيغة اللغوية وحدها لتحليل إلى شيء ولا تفسر لنا الحقيقة الوضعية التبليغية. وقد مرت هذه العملية التأويلية من مجموعة من الاستنباطات *Inférences* جعلت المتكلم يتلفظ بتلك العبارة والمستمع يؤولها حسب قصيدة المتكلم» (بلخير، ١٤٣٥هـ: ٨١). تحمل الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة في البناء الداخلي للقصة مدلولين متناقضين في سياقات مختلفة حيث تشكل القرائن المحيطة؛ والواضح «أن الدلالات التي تتولد عن نظام السياق في الجملة هي تشكل ناتج عن الجملة وليس معنى سابقاً عليها» (العلوش، ٢٠٠٨م: ٦٤) حيث ينتقي الكاتب الدلالة التي يرتضيها، ثم يصبها في سياقات عديدة ويلحظ لها دلالات أخرى في خدمة أغراضه المنشودة.

إن العنوان في رواية "الشمس في يوم غائم" لحناً مينة يتركز على علاقة السبابة اللغوية حيث يلعب الدور المحوري لما يريد الكاتب في كشف الأسرار والكوامن الموجودة في النص وفك رموزه وشفراته. يرسم "مينة" في عنوان روايته أي "الشمس في يوم غائم" صورة التحدي الإنساني في وجه الظلم الاجتماعي وفقدان أمنيته من جهة والتفاؤل بالمستقبل من جهة أخرى. في عنوان رواية "حنّا مينة"، نستشعر وجود نوع من الحزن المخيم على المستوى العربي بما فيه من الظلم والاضطهاد؛ حيث يستعمل "مينة" في استهلال روايته التركيب الوصفي -يوم غائم- وقد يتجلى فضاء النص كلياً ويُعطينا الترابط المنطقي بين الألفاظ في سياق الرواية كأنّ الشمس تبيننا أن الحقيقة موجودة كما أنّ الشمس موجودة؛ وكثيراً ما تُحجب الشمس بالغيوم، والحقيقة بالزيف والتزيير.

يستمسك "مينة" بتكرار دلالات العنوان في مشاهد مختلفة من الرواية -من بدايتها إلى النهاية- ليبين المعنى وليلحم أجزاء

القصة في الوحدة العضوية ويظهر الترابط المنطقي بين العنوان ونسيج النصّ فعلى سبيل المثال:

«تَسْكُعْتُ قَلِيلاً وَكَأَنِّي أَبْحَثُ عَنْ ظِلِّي فِي يَوْمِ غَائِمٍ» أو «قَرَرْتُ الْعُودَةَ إِلَى الْخِيَاطِ. عِنْدَهُ فَقَطْ يَتَبَدَّدُ الْغَيْمُ الْمَرِينُ عَلَى رُوحِي. سَمَاءُ الْخِيَاطِ لَا تَغِيْمُ، تَغِيْمُ وَتَظَلُّ الشَّمْسُ فِيهَا. وَرَاءَ الْغَيْمِ شَمْسٌ، وَأَبْدَأُ يَبْحَثُ الْخِيَاطُ عَنْ هَذِهِ الشَّمْسِ» (مينة، ٢٠٠٨م: ٢٦٤).

يبدو أنّ "مينة" ما أشار إلى باحث الشمس وما اختار هذا الشكل اللغوي إلا ليعكس حالته النفسية ومجتمعه ولا ينقطع هذا الأمر من عنوان الرواية فهو استعمل التكرار بين الطّباق والتضاد - كما نرى - وهذا الأسلوب «لا يحسن وقوعه إلا إذا اختلف بُعد ما بين الحيزين اللذين وقع فيهما التكرار؛ كما أنّه إذا كان التماثل متعلقاً بأشياء مشتركة كان من المستحسن ألا يُعاد مرّة وراء مرّة، درأاً للملالة التي يمكن أن تعطل عمليّة التأثير» (عبد المطلب، ١٩٩٤م: ٢٤١)؛ واستخدم الزواي هذه البنية ليبرز فكرته وتكشف السياسة بُغية رجوع الخصم عن طريقه.

٢-١-٤ - دلالة الرقص والموسيقى

يلعب الرقص والموسيقى دوراً وظيفياً في رواية "الشمس في يوم غائم" حيث تصبح الكلمتان كالدلالة الرمزية لتحسيد اليوم الغائم وتعكسان الظلم والاستبداد والأوضاع المتدهورة في مجتمع الكاتب. استخدم "مينة" تعابير الرقص والموسيقى لإيصال رسالته إلى الآخرين ليشاركوه همومه وآلامه؛ وصوّر من خلالهما ما يحدث في مجتمعه من اغتيالات وأنواع القتل والاستبداد وما يدور في باطن الشخصيات من أفكار، وهواجس، وانفعالات، وصراعات ذهنية.

يؤدّي سياق الرقصة بالخنجر -الخنجر الصقيل الباتر- والموسيقى إلى الأغراض الثورية ويساعده العنصران (الخنجر والموسيقى) على الفوز في هذا الصراع بما تحتويان من الإشارات والرموز التي تشير إلى الثورة على الاستعمار والتمييز الطبقي؛ وتدلّان على الحركات الموزونة العنيفة التي لم تكد تظهر حتى نحمد.

يختار "مينة" رقصة الخنجر بين التانغو، والبيان، والكمان إلخ.. ويُفضّل الخياط على الأستاذ الإيطالي الأجنبي أو الحلاق المتملق أو أيّ معلم آخر ليرشده إلى الخير والصالح. والكاتب يبدأ الحديث عن الرقص والموسيقى في بداية قصته حيث يقول: «فأوقفت الفرقة - فرقة طرب- عملها، لقناعتها أنّ الوقت لا زال مبكراً على بلدتنا لتدوّق الموسيقى بدون تصفيق وتصفير» (مينة، ٢٠٠٨م: ٢٣). ومن الواضح أنّ رسالة هذه الفرقة ليست التفاهة والمرح بل جاءت لتهدّي الشعب إلا أنّه لم يصل بعد زمن تدوّق الموسيقى دون تصفيق وتصفير أي لم يصل بعد ذلك الزمن الذي يجيب به الناس إلى من دعاهم إلى سبيل الرشاد (راجع م. ن: ٢٣).

فالجدير بالذكر أنّ رقصة الخنجر -حسب رأي الكاتب- في القصة، كلّها فنٌّ له مهمّة تجاه مجتمعه لأنّ الأرض تنبّه بواسطتها. حيث يُضفي "مينة" على التعابير التي تعطي ظاهريّة الموسيقى والرقص معنىً معاكساً دون المضمون العاديّ؛ فهو يقنع قارئه في أثناء روايته بالحركة الاحتجاجيّة والقيام الجوهري ضدّ الوضع الراهن.

٤-١-٣- دلالة "دق الأرض" و"الاستيقاظ"

أتى الكاتب بـ "الخنجر والرقص ودق الأرض والاستيقاظ" جنباً إلى جنب من بداية القصة إلى نهايتها. فهذا «السياق غير موجود مرة واحدة، إنما يتم بناؤه عن طريق الملفوظات المتتابعة، فمفهوم الشكل المنطقي يلعب دوراً هاماً في تحديد مفهوم السياق» (بلخير، ١٣٣٥ هـ: ٨٢). كلمة "دق" التي تأتي إثر الرقص، هنا تختلف تماماً عن "دققت الباب بعنف" في الرواية، ولها وظيفة ثورية؛ تدعو إلى المناهضة للخروج من الوضع الراهن، والحركة للاستيقاظ من الجهل الذي نشب أظافيره في عنق الشعب، وتكسر جدار الصمت لا في بلدتهم فحسب بل في الأرض كلها وهذا ما نشاهده خلال تعابير "مينة" لأنه ما أشار إلى بلد ما بل هو استعمال كلمة الأرض في قوله: "ليدقق الأرض".

قام الكاتب بتكرير المكرر لهذا المضمون في سياق الرواية، خاصة حين يجري الكلام على تعليم الخطأ أو الجدل مع نفسه بسبب تضارب الآراء بين الأسرة حول مهمته في الحياة. الكلمات تعتبر وسيلة للإعلام وثورة ضد التهديد ومصادرة الأراضي، ويبرز بوضوح حسه الثوري ضد الطغاة والمحتلين وسياسة الاضطهاد ويدعو شعبه إلى التضال والكفاح.

وفي هذا المضمون يستفيد "مينة" من الأمثال لإقناع قارئه ودعم دعوته كـ "مَنْ يقرع الباب يفتح" إلا أنه «لا يستخدم المثل من أجل إرساء أسس فكرة بعينها فحسب، بل لضمان إقناع الآخرين بمدى جدارتها كذلك» (عزالدين العوف، ٢٠٠٧ م: ٣٥)؛ قد أتى بهذا المثل لأنه لا يزال بحاجة إلى وقت طويل لتضافر الجهود:

– سأعلم الرقص مادمتُ حيّاً، وسيتعلمه كثيرون، سيدقون بأرجلهم، أرضنا نائمة، ... ليوقظها وستستيقظ. الباب الذي يقرع يفتح (مينة، ٢٠٠٨ م: ٣٥).

البطل يرقص بحركات خاصة معبرة عن مشاعره وغايته، وينكسر انتظام الأشياء بدق الأرض لأنها نائمة وستستيقظ في النهاية إثر الدق بأرجل الثائرين وهو أحدهم. فالجدير أن ثمن الحرية غالٍ ودماء الثائرين سيُسفك كـ "مرشده" وكـ "ضابط الإيقاع" -وهما شخصيتان في القصة- ولكن الحرية أغلى من الدم. إذن فلا بد للشعب أن يدفعوا الثمن في سبيل الحرية، ويقفوا ضد الانتهاكات والجرائم التي يفتريها الاستعمار في حقهم؛ لأن الثورة هدية لكل شعب ينتظرونها لإعادة بناء علاقات اجتماعية:

«أشعرثُ الخنجر ورحثُ ... تحيات وهدايا، لكل الحاضرين، ولكل من لم يحضروا ... والفارس الذي منح صداقة رجل لرجل، والمرأة التي قتلت حبيبها وبكت عليه ... للجوقة التي أفلست واشترت منها الكمان، والفلاحة التي ضربت لأجل حفنة الزيتون. وجميع الذين يحبون الرقص والفرح ويدقون الأرض ويوقظها» (م.ن: ١١٧).

ويبدو أن الأمثال والشواهد من الحياة والخبرات اليومية والتقسيم والتفصيل بين التعابير كلها من وسائل إقناعية يختارها "مينة" ليؤثر في المخاطب ويقنعه، حيث لا يمكنه المقاومة أمام إلحاحه في بعض تعابير وتكريرها، مما تشير -التعابير- إلى أن الطريق طويل ولكن الثورة هي الفائزة في نهاية المطاف؛ يُشتري بها كل شيء. فالألفت أن مصير القصة سوداوي وليس كما نعدنا في سياق حديثه.

هذه هي أهم الدلالات التي عوّل عليها "مينة"؛ وقد ختم سياق الرواية بحقل من دلالات رمادية ألقت بظلالها على النصّ كـ "العاصفة، والركض (للحصول على الحقيقة)، والظلام، والقتل، وسفك الدّم، وزاد الغور اتّساعاً، والحقد، والجنون، واخترس، وانطفاء الضوء، وسادت الظلمة" و...؛ وهذا يتناقض مع ادّعاءاته بالتخلّص والإنقاذ في نصّ الرواية؛ كأنّ التناقض بكلّ أنماطه سيطر على تعابيره المزدوجة، ويقودنا إلى الصّمت والسكون في النهاية كأنّه استمرار الغربة وقد يكشف عن العجز في مواجهة الاستعمار.

٢-٤- الأساليب اللّغوية في السياق اللّغوي

١-٢-٤- التكرار

يعتبر التكرار بمثابة وسيلة فعّالة في توضيح المعاني وترسيخها في الأذهان وتوصيلها إلى المتلقّي. إنّ التكرار يتعلّق باستعمال اللفظ مفرداً أم غير ذلك في منطوق واحد، ولم يقتصر عند "مينة" على الجانب الإيقاعيّ الصرف، بل تعدّى إلى الجانب الدلاليّ. تنوّعت أنماط التكرار بتغيّر تجربة الكاتب حيث تنطوي على العناصر اللّغوية أو غير اللّغوية كتكرار الحروف، والكلمات، والجمل، والتعابير، والأفكار، والأغراض؛ قد أضفى هذا التكرار على نفوس المتلقّين كلّ ما من شأنه التأثير والإقناع (راجع إلى أبو زيد، ٢٠١٠م: ١٤٣). يقدّم "مينة" هذه العناصر في إطار تركيبيّ يوفّر استعمال الموازنة والقوّة الإقناعيّة فعلى سبيل المثال:

أن نلعن الشر - قال الخياط - فهذا فضيلة عاجزة. لنفعل الخير ولنُدع الشر يلعننا... ولنخسر بسببه سُمعتنا الحسنة... مصيبة الناس - يا ولدي - أنهم يخافون على سُمعتهم الحسنة ... القيد ليس من حديد فقط. السُمعة الحسنة قيد أيضاً. ترجمتها الطّاعة. التسليم بالواقع، بالظلم، بالجوع حتّى تهبط لك من السّماء سلّة فيها طعام... أنا رفضتُ السُمعة الحسنة. أنا أصنع السُمعة الحسنة" (مينة، ٢٠٠٨م: ٢٦٤).

نجد التقابل والتضاد في تكرار لفظ "السُمعة الحسنة"؛ حيث تختلف "السُمعة الحسنة" التي نحصل عليها مع الطّاعة والتسليم تماماً عن السُمعة الحسنة التي نحصل عليها عند الخياط، فالواضح أنّ في تكريره «تقريراً للمعاني في النّفس وتثبيتاً لها في الصّدور. ألا ترى أنّه لا طريق إلى تحفيظ العلوم إلّا بتريده ما يراود حفظه منها، وكلّما زاد تريده كان أمكن في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذّكر وأبعد من التسيان» (الزّبخشري، د.ت: ٣٣٤).

هذا التكرار سلّط الضّوء على نقاط مهمّة في النصّ، وكشف عن عناية المتكلّم بها. ويبدو أنّ "مينة" في سياق روايته يحاول بأساليبه التوكيدية أن يُضفي على الكلام قوّة إقناعيّة.

فالجدير بالذكر هنا هو أنّ استخدام الكاتب لأدوات التوكيد في الكلام ليست بالصّورة الإخبارية بل كانت لتأكيد القول وإقناع المتلقّي بأمر ما، والتوكيد هنا قد يكون لدفع ضرر غفلة. فهنا نشاهد بوضوح هذه الأسلوبية كالأمر بالآلام، والتكرار، والتوكيد، وأسلوب الشرط، والتعابير التّهكّمية كـ "حتّى تهبط لك من السّماء سلّة فيها طعام"، والإيجاب بعد التقي، واختيار حقل دلاليّ كـ "الخوف، والظلم، والتسليم، والطّاعة، والغُلّ، والقيد، والهبوط، والسلب، والخسر، والجوع، والطعام، و...". جاء به "مينة"

ليزيل الشك والشبهة عما هو بصدد القارئ، ويشجعه على المكافحة على القدر المحتوم.

٢-٤- الاستفهام

يُعدّ الاستفهام من أبرز الأساليب الإنشائية التي يعمل عليها الكاتب لإثارة النقاش بينه وبين المتلقي أو محاولة تلطيفه أو إثارة استدعاء له؛ يولد نقاشاً يؤديه إلى الاعتراض والحث على العملين يجلو السؤال نقصاً أو افتقاراً ويدعو إلى سدّ ذلك النقص. فعلى سبيل المثال:

– مباركة أنت يا أرضنا العزيزة ... تعطينا كل ما نريد ... هل ذنبي أن أدقّ الأرض؟ (مينة، ٢٠٠٨م: ١٠٧).

يحدّد الأديب الاستفهام في ظلّ السياق كالإنكار، والتعجب، والتقرير، والتهكم، والتحقير، والتفريع، وغيرها ليردع المخاطب عن خطأه، ويثبته بقبول براهينه:

– ولكن تلك الفلاحة رضىت بالنقود ... وممن؟ من قاتل زوجها ... قتله متممداً ... وأخذ زوجته واستخدم ابنته (مينة، ٢٠٠٨م: ١٠٧).

– ما رأيك بقتل زوجة المحامي؟ (القتل للاعتراض) وماذا فعلوا للقاتل؟ قفّ إلى النافذة تراه يمرّ في طريقه إلى البيت وكأنّ شيئاً لم يكن وفي كلّ مكان يقفون له احتراماً (م.ن: ١٥٤).

كثيراً ما نجد أنّ "مينة" يهتمّ بتوظيف أسلوب الاستفهام بأنماطه (الحقيقية أو الإنكارية أو التوبيخية و...) حيث يستخدمه لربط الوحدات النصّية في داخل نسيج الرواية، فهو يلجأ إلى الاستفهام متحدّثاً عن حزنه أو مرض اجتماعي أو مستغرقاً في خيال أو باحثاً عن أحلامه بواسطة التذكّر والمناجاة التي «تسهم إسهاماً في جعل القارئ يحسّ بواقع العالم الخارجي لأنّ ما في داخل النفس البشرية هو امتداد لما تُجَاهُهُ خارجها» (سمّاحة، ١٩٩٨م: ٣٥).

يُعدّ التكرار والاستفهام لوفرهما في النصّ -في رأينا- من أهمّ أسباب التماسك النصّي في بناء النصّ الروائي في رواية "الشّمس في يوم غائم"؛ إذ يلجأ إليهما "مينة" في سبيل تحقّق أهدافه كتنبيه حدّة الصّراع الذي يعيشه، أو حدّة الإرهاسات التي يواجهها، أو لإقناع المتلقي والتأثير عليه.

٣-٤- أسلوب التّضاد

تعتبر قضية التّضاد من القضايا المعجمية البارزة في الرواية المذكورة، حيث شكّلت عمليّة هامّة في نسيج "الشّمس في يوم غائم" وقد توافقت دلالات على أساس الموازنة بين عقل المتلقي ووجدانه. ولكن لاندري هل استخدم "مينة" هذه المقابلات في تبين أفكاره واعياً أم لا؟ نراه أشار إلى الرّجل والمرأة، والقرية والمدينة، والعلم والجهل، والصّواب والخطأ، والظّالم والمظلوم، والنّوم والاستيقاظ، والكلبة والقلعة وكازينو، والفقر والغنى، والصّدق والخداع، والقتل والحياة، والكتاب والفرنّ، وابنة "القلعة" وامرأة القبو، والأخت وابنة العمّ، والأب والخياط و...، فربما هذه الأضداد هي ناتجة من التناقضات الفكرية الشائعة في عصره؛ يوظّفها الكاتب في تبين الشواذ التي تبدو في مجتمعه طبيعيّة.

إنَّ أحداث الرواية تتابع وتعاقت في شكل ثنائيات متضادة وفق النسق القصصي وقد اتّسمت بالوحدة الموضوعية؛ و"مينة" يخلق من خلالها صورة ذهنية ونفسية معاكسة يوازن فيما بينها عقل المتلقي ووجدانه موازنةً دلاليةً فضلاً عن أنه مثّل ملمحاً جمالياً في النصّ (فضل، ١٩٩٢م: ٤٨).

يتركز أسلوب التضاد في الرواية على أساس تجسيد الصراع بين الظلم والعدالة، والحرية والعبودية كقوله:

في قاع البئر نحن ... و من قاع البئر تصاعدت آهات الاستغاثة ... ظلمة .. وجه كئيب .. ليل .. ثم انبثق ضوء .. حي على الصلاة .. الفجر ... " (مينة، ٢٠٠٨م: ١٠٩). يصوّر "مينة" هنا الطبقات الاجتماعية، والمظاهر الطبيعية، والسلوك والأفعال ليجعل حركة ذهن المتلقي وجدليته من خلال طرح الثنائيات الضدية بين أصناف الشعوب والتضاد الطبقي والفكري بين الناس، فالجدير أن التضاد يعطي الرواية مفهوم الثورة والحركة والمناهضة بين التجدد والسنن التقليدية فيرجع هذا الأمر لأسباب اجتماعية تتعلق بطريقة تفكير العربي وابتعادهم عن الجهل والفقر وحركتهم نحو الحرية والمناهضة.

فعلى سبيل المثال يعرف "مينة" راوي قصته على لسان الخياط: «أنت زهرة في حقل من الشوك» (مينة، ٢٠٠٨م: ٢٨). تبرز أن "زهرة" نكرة على وزن "فعلة"، ولا يعرفها الجميع بين "الشوك" وهذه الكلمة معرفة. يكرر "مينة" هذه الجملة ثلاث مرّات ليظهر كلّ ما فيها من معنى، فإنّ الفتى شُبّه بزهرة لها ميزات جمالية في حقل واسع من الشوك الذي يعكس معاناته وكرهيته. غاية السارد هي غاية مرشده -الخياط- وله حقد طويل على هذا الشوك حيث يقول: «شعرت من تقطيع وجهه المفاجئة أنه يحمل حقدًا مريباً على هذا الشوك» (م: ٢٨). يصف "مينة" الخياط والإشارات والإيماءات في وجهه ليحسد استمرازه من الشوك ويوضح فكرته ويبلغها إلى السامع؛ وقد استطاع باستعانة المقابلات تحقيق السبك النصّي للرواية، وتوظيفها آليةً لانسياب المعاني وتدفعها في ذهن المتلقي.

٤-٣- دلالة الشخصيات التهامية في السياق اللغوي

توفرت عوامل عديدة في اختيار أسلوب "مينة" في رواية "الشمس في يوم غائم" وتشكيل بنية متفاعلة ومتكاملة للنصّ إذ تمكّن الكاتب بواسطة شتى الأجناس في المجتمع يربط بالسياق النصّي للكشف عن الأساليب التي تتعلق بشخصيات المتخاطبين وحياتهم الخاصة، وتاريخهم الاجتماعي، والعلاقة بينهم، فهذه العلاقات ناتجة عن الموقف بحكم ظروف الزمان والمكان حيث يقع فيها الخطاب والتأثير على المتلقي.

تشغل الأجناس بما فيها من الذكور والإناث، وأصحاب الحرف والمهن والسياسة حيّزاً وافرأ في الرواية. فإنّ "مينة" يصف الأجناس في الرواية بنوع من التهام فإنه لا يستهزئ بشخصٍ لأنّه قصير أو طويل أو غير ذلك أو لأنّه خصم، بل يحمل قضية أمة صودرت حرّيتها وحرمت من حقّها، فلذا يعبر عن ألم يعصر قلبه لما كان يعانيه شعبه في حقبة زمنية طويلة من جور وظلم. تقع أهمّ مركّزات الشخصيات هذه الرواية: ١- شخصية المرأة (الأم والأخت و... إلخ)، و ٢- شخصية الرجل (الأب، صهر الأسرة، الجد وأصحاب بعض المهن كالوكيل والحقّاق و...)، و ٣- شخصية السلطة وممارستها التي سنتناولها:

١-٣-٤- شخصية المرأة (الأم، الأخت، الفلاحات و...)

المرأة في الرواية لم يحصل على مكانته في المجتمع حيث أنّ هذه الرواية جسّدت أنواعاً من العنف المسلط على المرأة من عنف لفظي وعنف عاطفي (محاولة أسرتها تزويجها عنوة) والعنف الجسدي؛ كما عكست نظرة المجتمع العربي الذكوري إلى المرأة باعتبارها غنيمة تشتته؛ والسيّاق النصّي يُظهر أثره على تسيير أغراض "مينة" في هذا المجال.

المرأة في هذه الرواية مسلوكة الإرادة ومهضومة الحقوق وكسيرة الجناح فهي تضطرّ بأن تكون راضية لمصالح زوجها أو الحفاظ على عرضها بما يفعل الرجال المتممون إلى الأثرياء؛ كما نشاهد صمتها أمام "المستشار" أو "الوكيل" و...، لأنّ كسر الصمت سيؤدّي إلى قتل زوجها وتسليمها أمام رغباتهم أو خدمة بناتها في "بيت السراي"؛ السارد يمثل استغلال الذكور لها ويبرز معاملاتهم في التعبير التّهكمي «المهمّ هو الملك! من يخدم البستان فمن البستان يأكل» (م.ن: ٦٧). في مكان آخر يرسم مينة في الرواية رد فعل أخته أو أمّه تجاه أقوال الأب والصّهر إذ يقول الراوي:

«أختي لا تبكي، وكذلك لا تفرح. أختي كأني في النقطة الميّنة أبداً... ولهذا لاتفهم» (مينة، ٢٠٠٨: ٢٤٦).
يصوّر "الروائي" تسليم الأمّ تجاه التّزوج وتجاهلها بكلمات لاذعة كـ «سموك.. ترددين أقوالهم...»؛ فهو يشبه أمّه بالدّجاجة أو أبيه بالديك لأنّه لا يلتزم بأيّ التّزام؛ والمقام هو تحريضها للمعارضة والدّفاع عن نفسها وعقائدها.
فالجدير أنّ الراوي حين يتذكّر قضية المرأة عبر نسيج الرواية لا يُعنى بأيّ عطوفة فيما يتعلّق بمشاعر المرأة، أو جرحها بضحكاته التّهكميّة أو تعابيره الباردة أو تشايبه، فغاياته الدّفاع عنها لا إيذاءها. هو يعتبر نفسه مسؤولاً تجاهها؛ ويتهمّ بالعادة والتّقاليد لكسر قانون الطّاعة والتّسليم وأيضاً يسعى لتحكيم التّحرّر وكسر طابوهات المجتمع. فلذا أنّ أسلوب التّهكم عبر السيّاق النصّي للمرأة يؤدّي إلى أنّها تطالب بحقوقها، وتحوّلها إلى المرأة التي تطغى على الظّلم والاستبداد والتّحقير.

٢-٣-٤- شخصية الرّجل (الأب، والصّهر، والجد، وصاحب المهن كالوكيل والحلاق و...)

يستخدم الراوي ألدعّ التعابير، والأمثال، والتشاييه في الرواية بالنسبة للأب أو الصّهر أو الجدّ، حيث تتّصف هذه التعابير بالسّخرية والتّحدّي لأسرته وخطيب أخته. هو في جدال دائم مع أبيه، و-حسب قوله- «ابن غير عاقلة»، تحت سلطة والد يتهمّه ويطلّعه بأنّ العلاقة بينه وبين أبيه هي الحاجة الماليّة فقط حيث يذكر أنّ «والدي لا أنا، هو السيّد. إنّ صاحب المال، والعمل، والأرض، ولكي أتحرّر من نفوذه يجب أن أتحرّر من حاجتي إليه، يجب أن أعمل» (م.ن: ٢٤٩).

يأخذ المؤلّف منهجاً لا يذكر اسم أجناس الرواية فيُقدّم الشّخصيّات من خلال الوظيفة فقط كالمستشار أو الخياط أو ضابط الايقاع أو الوكيل و... «وقد يكون غياب الاسم في هذه الرواية لأنّ الروائي يريد التّركيز على العامّ وتصويره، أمّا حينما يذكر الاسم فهو يركّز على الخاصّ أي على إنسان بعينه لكنّه يحمل سمات الطّبقّة أو الفئة التي ينتمي إليها» (سمّاحة، ١٩٩٨م: ٧٨).
ثمّة أجناس في سياق الرواية مثقّفة وغير مثقّفة لعبت دور العميل للاستعمار للوصول إلى أهدافهم المنشودة، فعلى سبيل المثال أنّ الوكيل صار لعبة بيد السّلطة ليحقّق أهدافهم؛ وأيضاً الراوي يلومه لأنّه يتحمّل عليه أن يدافع عن الحقّ وليس العكس؛ والوكيل

يخدم الأب مع كل إهانة تتجه إليه من قبل الأب: «أنت وكيل؟ أنت مره (امرأة)» (مينة، ٢٠٠٨م: ١٤٨).
 يبلغ الكاتب عبر تمكّم أجناس الرجال درجة عالية من حيث المضمون ولا في المستوى الإبداعي الفني حين يجسّد شدة لومه وتدمره في مشهد تعذيب "الفلاحين" وقتلهم، ويتهكّمهم للتفرقة بينهم: «لكنّ الفلاحين لا يقتلون، لا يفعلون شيئاً غير الوشاية ببعضهم، والكناية، أحدهم بالآخر، والجميع يخافون، ويخضعون لأسيادهم كالغنم... ووكيلنا، حتّى وكيلنا يضربهم» (م.ن: ١٥٥).

جسّد "مينة" الصفات الرذيلة لجنس الذكور عبر التّهكّم كالوشاية بينهم، والخوف، وعدم الجرأة على القيام وأشار إلى أنّ الوكيل ليس مدافع عن حقوقهم بل هو مع أنّه منهم وقّف ضدهم ويظلمهم. فإنّ الراوي يطلب عبر الأسلوب التّهكّمّي نوع من التغيير والإصلاح حيث يجرّد أحوال أجناس الرجال عن الخيال لتحقيق صفاتهم النبيلة وإزالة الصفات الرذيلة كالوشاية والجشع والغشّ والخداع.

٣-٤- شخصية أصحاب السّلطة وممارساتهم

تقدّم هذه الرواية صورة عن الحياة الاجتماعية بما فيها من الفقر والظلم، والاستبداد وفقدان الأمن وهذا تحقّق إثر سيطرة الاستعمار على حياة الناس وسلوكهم وآرائهم وأفكارهم. رسم "مينة" جنس السّلطة وذويها (كالعائلة المثقفين والمحامي و...) في جانب وجنس الشّعب (كالمزارعين والنساء) في جانب آخر وقارن بين من ارتضى أن يكون خادماً للاستعمار وبين من رفض هذه الطريقة تحت قبة الدّل والعار. عبر "مينة" عبر توصيف السّلطويّين عن الأوضاع الراهنة في مجتمعه بتعاير لاذعة حيث قام بتقريع أصحاب السّلطة لشرب الخمر والاعتداء على النساء والأهالي وأخذ محاصيلهم دون دفع ثمنها، وجسّد الوقائع في صور تمكّميّة ذات أهداف فاعلة مستخدماً الحقل الدلالي لإقناع المخاطب كـ "تسحق، وحشرات، وأوباش، وحتالة المدينة، وتسليم، وأخذ زوجته، واستخدم ابنته، وقتل، وحبث، وضرب، وسرقه و..."، فعلى سبيل المثال هو يوجّه خطاباً إلى أب الراوي موبخاً فعله عبر استخدامه الجمّل القصيرة «هراء... خدعة.. قتله متعمداً.. وأخذ زوجته، واستخدم ابنته» (مينة، ٢٠٠٨م: ١٥٢) أو حين يصوّر حياة الفلاحين يقول: «العائلة تعتبرهم (المزارعين) كنوع من حشرات، يكفي أن ترتفع قدم لتسحق عشرات منها» (م.ن: ١٤٤). جاء "مينة" بـ (الحقل الدلالي) ليعث وعي القارئ وانتباهه لكي يتجنّب خطورة السّلطة الغاشمة التي سلبت منه كلّ شيء، وليس هناك مفرّ منها إلّا الرضى والتسليم.

فالجدير أنّ الكاتب باختيار هذه الأجناس يمثّل الالتزام الأدبي والأخلاقي تجاه البلد العربي لأنّه ينتمي إلى أمة مقهورة وهو لسان معبر عن آلامها وتطلّعاتها، ويسعى إلى إثارة مشاعرها ليرشدها ويثقفها للتغيير؛ فلهذا اختار العنف اللفظي وانتقد على بعض المثقفين لدورهم السلبي في المجتمع، ومساعدتهم على تفشّي مظاهر الفساد ممّا يؤدي إلى فقدان العدالة الاجتماعية، والظلم الكادحين.

٥. الزمان في السياق اللغوي للرواية

يلعب الزمان دوراً وظيفياً؛ حيث لا نجد وصف الربيع بين فصول الرواية، فأما موسم الخريف فيرافقه الأمسيات الحزينة؛ كما يعبر موسم "الشتاء" عن شدة القمع والبرد، حيث يقول الراوي:

– فشاهدتُ شموعاً تشتعل (في الكنيسة اللاتينية). أحسستُ أنني تحولتُ إلى شمعة تشتعل بهدوء وسلام في العراء. كان الوقت شتاءً، والطريق مقفراً ... (مدينة، ٢٠٠٨م: ٤٥).

– حنان كألدي يصاحب الحزن الرقيق في الأمسيات الخريفية ... ومع مضي الوقت وهبوط الليل، انطفأ ذلك الإحساس الحلو وحل مكانه شعور بفقدان الشيء الذي أبحث عنه ... (م.ن: ٦٧).

كما أنّ "الصيف" هو تعبير عن القيام ضدّ فرنسا لأنّ الراوي ينتظره ليأتي ويحصد أمله:

– وهذا الصيف حين عدتُ إلى المدينة، كانت حالة من الهياج تسودها، وكُره شديد لفرنسا على كل وجه، وفي كل مكان، إلّا في البيوت التي هي قلاع كبيتنا (مدينة، ٢٠٠٨م: ١٤٤).

إنّ "مدينة" لم يذكر زمناً أو مكاناً ما إلّا متعمداً كإشارته إلى "يوم العيد، والرابع عشر من تمّوز، ويوم الأحد، وبعض الأعياد الرسمية":

– أحضر يوم العيد خنجراً وسترقص به لأول مرة (م.ن: ٢٨).

– وفي فرنسا تستحقّ الاحتفال في كلّ رابع عشر من تمّوز، أمّا عندنا فليس لها اسم (م.ن: ١٦١).

– وكان الأب فيليكس يتكلّم دائماً على الثورة ضدّ القيصّر ... وفي الرابع عشر من تمّوز احتفلت المدرسة بذكرى الثورة الفرنسيّة، فخطب متهللاً ... كان يحبّ هذه الثورة وكنا مثله نجبها، وكان الرابع عشر من تمّوز عيداً رسمياً .. عيداً كبيراً كما كان يقول. أمّا والدي فلم يكن يحبّ أية ثورة، ولم نسأله لماذا (م.ن: ١٥٧-١٥٨).

– يوم الأحد كنتُ عند الخياط أرقص من جديد وجدته يأكل خبزاً وتمراً (م.ن: ١٠٧).

هو يختار يوم العيد ليشير إلى أنّ «كلّ خلل يصيب العالم يجد حلاله بالعودة إلى أزمنة البدء، هذا العود الذي نجده رمزياً في أعياد رأس السنة» (الحمادة، ٢٠٠٦م: ٤٣). إنّ السارد أشار إلى الثورة الفرنسيّة في الرابع عشر من تمّوز والرقص بالخنجر في يوم الأحد أو يوم العيد، للثورة والاستيقاظ، ويقول بأنّ اختيار هذه الأيّام للانتفاضة يمكنهم على الاتحاد وخلق الثورة في بلدهم.

الملفت هو أنّ "مدينة" اعتمد على السياق الزمنيّ في تحسيد الفصول على أساس التقرير والترتبة دون بعض المواضع الثورية التي تساعده على الحركة والسرعة في الرواية؛ فهذه التقريرية أثّرت في إبطاء زمن السرد تأثيراً يسوقه إلى الوصف من خلال الاسترجاع هرباً من الواقع القاسي، والتذكّر، والمناجاة، والاعتماد «على تقنية المونولوج الداخلي لمعايشة الصراع النفسي الداخلي الذي يعيشه الشخص عندما يختار في أمر ما أو في موقف معيّن» (حمادي، ٢٠١٥م: ٥٤) والتكرار، ووصف المشاهد. يركّز الراوي عبر استرجاعه إلى الماضي والمونولوج الداخلي: ١- على عودة الحياة إلى الشعب -مع تصوير عودة الحياة إلى التمثال في القصة-،

وهذه هي لحظة بزوغ خيوط الفجر ونشوته، و٢- كان تركيزه على ماضيه الحزين والغربة التي عاش فيها رغم ثروته أو قريته من أهله وانتماء أسرته إلى السلطنة، و٣- كان تركيزه على حياة صعبة مليئة بالظلم والجهل. إنه يعاني الواقع في الحاضر بل في الماضي؛ عالم الحاضر والماضي يتعانقان ويلتقيان فيه.

٦- العاطفة في السياق اللغوي للرواية

القصد من العاطفة في السياق هي التي تحدّد درجة الانفعال بين القوّة والضعف ممّا يقتضي توكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً. مثلاً كلمة "يكره" العربية غير عن كلمة "يغض" رغم اشتراكهما في أصل المعنى (راجع إلى مختار عمر، ١٩٩٨م: ٧٠). إذ دققنا في طبيعة استعمال الكلمة بواسطة "مينة" بين دلالتها -القصد هو الكلمة- الموضوعيّة ودلالاتها العاطفيّة نشاهد أنّ العاطفة في خدمة موضوعات هادفة؛ وهي تعلق في مواضع السخرية والتقريع وخاصة حين يرسم لنا "مينة" صورة الجدال بين الأب والابن أو بين الابن والأم أو الأخ؛ وتسقط حين يميل إلى التقرير أو الاسترجاع إلى الماضي.

نراه إذ اشتدّت العاطفة ودخل الروائي في إثارات عاطفيّة أو ثوريّة كالرقص أو التمرّد على الأب أو الجد أو سلوك أمّه و...، تتكوّن الجمل بين كلمة إلى أربع كلمات تُصوّر الحزن، والظلام، والصبر، والصمود ليعبر عن شدة القمع والظلم وتساعد الآهات. في هذه المواقف يميل "مينة" عبر العاطفة إلى التقديم والتأخير وإلى الجمل القصيرة لتقوية الحكم وتقريده، أو للسخرية والذم، أو للعناية والاهتمام، أو التفاوض بما يحدث في المستقبل؛ فعلى سبيل المثال:

ورجالا ينحتون فوقه ليرفعوه وكلمات مولولة ناشجة تقول: مات.. وكلمات أخرى تصيح: أدخلوه إلى البيت ..

واشعلوا الضوء... وقال صوت: أحضروا الطبيب، ربّما فيه نفس... وقال آخر: لا فائدة، لم يعد فيه نفس (مينة، ٢٠٠٨م: ٣٠٢).

يقدم "رجالاً" ليتهمّك أفعالهم؛ لأنهم يتشاجرون على موت "الخياط"، ويصرخون، ويبحثون عن الضوء بدل إنقاذه، وهكذا قُتل الخياط من قبل عميل الأب بنفس الخنجر الذي بدأ به رسالته؛ وفي المكان الذي دقّق فيه الأرض، لكي لا يكون، ولكي لا يعلم.

من الملفت أنّ فكرة الأديب تحتوي على نوع من العاطفة الاجتماعية والإنسانية قد صبّبت في الأساليب البلاغية -لأنستطيع تجريدتها من الأساليب اللغوية- منها "التقديم" و"التأخير"، وتحقق الأغراض البلاغية كتنقية الحكم، والإقرار، والتّمتي، والتعجب، والإنكار، والاستنكار، والاستبعاد، والسخرية، والتحقير، والتوبيخ، والتقريع -ذكرنا بعضها خلال البحث- إذ يصف الظروف السائدة على أسرته ومجتمعه أو يعبر عن آمال ورغبات، أو يجول هنا وهناك ليجد ضالته.

٧- نتائج

يكثرت السياق اللغوي في رواية "الشمس في يوم غائم" لـ "حنّا مينة" بتجسيد التماسك النصّي عبر استعمال آليات لغوية

كالتعابير والأساليب اللغوية ودلالاتها كالتهميم والتوبيخ والتفريع و...، واللافت أنّ "حنّا مينة" يستخدم الزمان والعاطفة متلازمين مع أغراضه المنشودة في آلياته اللغوية.

ترتبط مظاهر السياق اللغوي في الرواية على أساس المذهب الواقعي والصراع بين السنن التقليدية والقضايا التجديدية حيث وظّف "مينة" التعابير الدلالية: كدلالة "عنوان الرواية"، و"دق الأرض"، و"الموسيقى والرقص" لبيان الترابط المنطقي بين أجزاء قصته؛ كما تتسم هذه الوجوه الدلالية بالحركة الثورية ضدّ السكون والظلم والاستعمار وهي تعتبر بمثابة الملاذ الروحي للروائي أن يكسر أغلال التحجر والتزمت لكي يوافق نفسه بريح العصفرة.

أضفى "مينة" على آلياته اللغوية معنى معاكساً غير مضمونها الطبيعي عبر التضاد والاستفهام والتكرار بوصفها أهم عناصر التماسك النصي واختيار العاطفة الاجتماعية والإنسانية قد صُبت في الأساليب البلاغية -بوصفها من أغراض الأساليب اللغوية- لبيان اللون الرمادي والثنائيات الضدية في نسيج روايته ربما نتجت من التناقضات الفكرية الشائعة في عصره.

تبلورت أغراضه التهميمية التوبيخية التفريعية وعاطفته النبيلة بواسطة تجسيد الأجناس كجنس المرأة والرجل، وجنس السلطة وممارستها تجاه الشعب لإثارة انتباه المتلقي، والبحث عن الأحلام التي مازالت تعبر عن أسرته ومجتمعه.

اختار الكاتب لسياقه اللغوي أسلوباً زمنياً ينتظر أيام العطلة والأعياد ليبحث فيها عن الربيع المفقود ويثّ فيه عاطفته الإنسانية ليصور قضية أمة صودرت حرّيتها، ويقنع القارئ بالحركة الاحتجاجية ويحثّ الجمهور على القيام الجوهري ضدّ الوضع الراهن وإصلاح ظروف الطبقة الوضيعة كالكادحين والمزارعين والعمّال، ومهضومات الحقّ كالتساءل عبر الثورة ضدّ الطبقة الفاسدة كالفقضاء وعملاء الدولة.

المراجع

- [١] أبو زنيد، عثمان (٢٠١٠م)، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط ١، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- [٢] أحمد ليبب، عباس (١٩٨٥م)، الواقع الأدبي: حنّا مينة وتناقض وعي الكاتب، مجلة فصول، المجلد السادس، العدد الأول، صص ١٩٧-١٦٥.
- [٣] أكيدر، عبد الرحمان (٢٠١٨م)، «دور "التعليق" في تحديد السياق النصي عند عبد القاهر الجرجاني»، مجلة جبل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٣٨، صص ١٠٠-٨٥.
- [٤] أحميدات، أحمد محمد عبد الله (٢٠١٧م)، «دلالة السياق اللغوي في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث شعر محمود درويش أنموذجاً»، مجلة جامعة المدينة العالمية (مجمع)، العدد التاسع عشر، صص ٣٦٩-٤٠٧.
- [٥] البركاوي، عبد الفتاح عبد العليم (د.ت)، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د.ن.
- [٦] بلخير، عمر (١٤٣٥هـ.ق)، «السياق في النظرية المعرفية»، اللّغة والأدب، العدد ٢١، صص ٧٥-٨٦.

- [٧] جلولي، العيد (٢٠١١)، «مصطلح السياق في التراث العربي وعلم اللغة الحديث»، مجلة مقاليد، العدد ١، صص ٨-١.
- [٨] حمّادي، سامي (٢٠١٦م)، الاغتراب الزمني في رواية الرحيل عند الغروب لحنا مينة، رسالة الماجستير، جامعة محمد خيضر - بسكرة.
- [٩] الحمّادة، يوسف (٢٠٠٦م)، «حنّا مينة و مياه الولادة الدائمة»، المعرفة، العدد ٥١٢، السنة ٤٥، صص ٣٩-٥.
- [١٠] الزمخشري، أبو القاسم (د.ت)، الكشف، مج ٢، بيروت: دار المعرفة.
- [١١] سماحة، فريال كامل محمد صالح (١٩٩٨م)، رسم الشخصية في روايات حنا مينة، رسالة الماجستير، قسم اللغة العربية في جامعة آل البيت كلية الآداب والعلوم.
- [١٢] الغلّوش، مخلود (٢٠٠٨م)، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط ١، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- [١٣] عبد المطلب، محمد (١٩٩٤م)، البلاغة والأسلوبية، الطبعة الأولى، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- [١٤] عزّ الدّين العوف، زياد (٢٠٠٧م)، «المغامرة التّصيّّة في رواية الشمس في يوم غائم للكاتب السوري حنّا مينة»، مجلة جامعة سيها (العلوم الإنسانيّة)، المجلد السادس، العدد الثاني، صص ٤٠-٢٦.
- [١٥] فضل، صلاح (١٩٩٢م)، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: عالم المعرفة.
- [١٦] مختار عمر، أحمد (١٩٩٨م)، علم الدلالة، طبعة ٥، القاهرة: عالم الكتب.
- [١٧] مينة، حنا (٢٠٠٨م)، الشمس في يوم غائم، بيروت: دار الآداب.

References

- [1] Al-Barkawi, Abdul Fattah Abdul Al-Alim (Undated). *Indicating Context between Inheritance and Modern Linguistics*, Publication Unknown.
- [2] Abu Zanid, Uthman (2010). *Towards the Text of Theoretical Framework and Comparative Researches*. 1st Edition, Jordan: Alam al-Kotob al-Hadith.
- [3] Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim (Undated). *Alkashaf*. Volume 2, Beirut: Dar Al-Ma'rifah.
- [4] Al-Olloush, Kholoud (2008). *Quranic Dialogue Review of the Relationship between Text and Context*. 1st Edition, Jordan: Alam al-Kotob al-Hadith.
- [5] Ahmadlabib, Abbas (1985). The Literary Reality: Hanna Minne and Tantaqoui, *Journal of Fasl*, Vol. VI, Issue 1, Pp. 197-165.
- [6] Akidar, Abdorrahman (2018). The Role of "Commentary" in the Determination of the Text Context at Abd Al-Qaher Al-Jorjani, *Journal of Literary and Intellectual Studies*, No. 38 , Pp. 85-100.
- [7] Ahmidat, Ahmid Mahmoud Abdullah (2017). 'The Significance of the Language Context in the Orientation of the rhetorical Matter According to Firth's Theory, Mahmoud Darwish's Poetry as a Model', *Al-Madinah International University*

- Journal* (Complex), No. 19, Pp. 407-369.
- [8] Alhammadah, Yusef (2006). 'Hanna Minne and Permanent Birth Water'. *Al-Ma'rifah*. No. 512, Year 45, Pp. 5-39.
- [9] Abd al-Muttalib, Muhammad (1994). *Rhetoric and Style*. 1st Edition, Lebanon: Maktabat of Lebanese Publications.
- [10] Balkhir, Omar (1435). 'The Context in Cognitive Theory'. *Journal of Language and Literature*, No. 21, Pp. 75-86.
- [11] Ezzoddin Al-Auf, Ziad (2007). 'The Textual Adventure in the Sun's Novel on a Cloudy Day by the Syrian Writer Hanna Minne'. *Journal of the Humanities*. Vol. 6. No. 2, Pp. 26-40.
- [12] Jalouli, The Eaid (2011). 'The Terminology of the Context in the Arabic Heritage and Modern Linguistics'. *Maqalid Magazine*, Issue 1, Pp. 1-8.
- [13] Hamadi, Sami (2016). 'The Alienation of Time in the Novel of Departure at Sunset Mahna Port'. A Master's Dissertation. University of Mohammed Khiedr – Biskra.
- [14] Fazl, Salah (1992). *Rhetoric and Text Science*. Kuwait: Alam Al-Ma'rifah.
- [15] Kamel Mohammad Saleh Sammaha, Feryal (1998). 'Personal Drawing in Hanna Minne's novels. Master Thesis. Department of Arabic Language at Al-Bayt University. Faculty of Arts and Sciences.
- [16] Mine, Hanna (2008). *Al-Shams Phi Yaum Ghaem*.
- [17] Mokhtar Omar, Ahmad (1998). *The Science of Signification*. 5th Edition. Cairo: Alam al-Kotob.

The Linguistic Context and its Functional Role in Hanna Mine's Novel *Al-Shams Phi Yaum Ghaem*

Sayyed Fazlollah Mirghaderi¹, Leila Raisi^{2*}, Karim Keshavarzi³

1. Professor in Arabic Language and Literature, Shiraz University

2. PhD Student , Dept. of Arabic Language and Literature, Shiraz University

3. PhD student in Arabic Language and Literature, Yazd University

Abstract

Hanna Mine's novel "Al-Shams phi Yaum Ghaem" depicts the real images of the author's society and expresses a kind of social critique such as the conflict between existing tradition and modernism. This is a stimulus for rebellion against the current state of the writer's society. The linguistic tools of the context create coherence between the context and the characters of the story on the one hand and the events and the two elements of time and emotion in this novel on the other. Through linguistic styles and rhetorical motives, these tools play an important role in expressing the narrator's wishes and desires, such as opposition to petrification, ignorance, and class differences. To this end, the present study, based on the descriptive-analytical method, explains the role of internal contextual tools in the novel. The results show that the authority of this linguistic method is persuasive, and the author uses them to critique the characters, events, and classes in the society. Its related meanings link the beginning of the story to its dark end and depict the sorrow and ignorance of society. The author uses contradiction, repetition, and inquiry in the form of reprimanding and condensing in order to force people to protest and to draw the dichotomies of their society; it is, as if the whole color of the story is dominated by the color gray, without the story achieving its desired result, which is reform and change.

Keywords: Internal Context; Hanna Mine; *Al-Shams Phi Yaum Ghaem*.

* Corresponding Author's E-mail: Leila.raeisi@shirazu.ac.ir

سياق زبانی و نقش کارکردی آن در رمان "الشمس فی یوم غائم" از "حنّا مینه"

سید فضل الله میرقادی^۱، لیلا رئیسی^{۲*}، کریم کشاورزی^۳

۱. استاد گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه شیراز، ایران.

۲. دانشجوی دکترا در گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه شیراز، ایران.

۳. دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عرب دانشگاه یزد، ایران.

چکیده

رمان "الشمس فی یوم غائم" اثر "حنّا مینه" ترسیم‌گر تصاویر واقعی جامعه‌ی نویسنده و بیانگر نوعی نقد اجتماعی هم‌چون جدال و درگیری بین سنت‌های پیشین موجود و تجدّدگرایی است؛ این موضوع محرّکی برای سرکشی علیه وضعیت کنونی جامعه‌ی نویسنده است. ابزارهای زبانی سیاق باعث انسجام بین بافت و شخصیت‌های داستان و رویدادها و دو عنصر زمان و عاطفه در این رمان شده است. این ابزارها از طریق اسلوب‌های زبانی و اغراض بلاغی نقش مهمّی در نمایان‌سازی آرزوها و خواسته‌های راوی از قبیل مخالفت با تحجّر، نادانی و اختلاف طبقاتی دارد. به این منظور، پژوهش حاضر بر اساس روش توصیفی-تحلیلی به تبیین نقش ابزارهای سیاق درون‌متنی در رمان می‌پردازد. نتایج نشان می‌دهد که اختیار این شیوه‌ی زبانی اقتناعی است و نویسنده آن‌ها را در جهت نقد شخصیت‌ها، رویدادها و طبقه‌های موجود در جامعه به‌کار می‌گیرد. عنوان "الشمس فی یوم غائم" و تعبیر مرتبط با آن آغاز داستان را به پایان تاریک آن پیوند می‌دهد و حزن و نادانی جامعه را به تصویر می‌کشد. نویسنده تضاد، تکرار و استفهام را در قالب اسلوب توبیخ و تهکّم به‌کار می‌گیرد تا مردم را به اعتراض وادارد و دوگانگی‌های جامعه‌ی خویش را ترسیم کند؛ گویی در تمام فضای داستان رنگ خاکستری غلبه دارد بی‌آنکه داستان به نتیجه‌ی مطلوب خود که همان اصلاح و تغییر است دست یابد.

کلید واژه‌ها: سیاق درون‌متنی، حنّا مینه، "الشمس فی یوم غائم".